

هؤلاء لونا جديدا من النقد تشعبت بحوثه وتنوعت ، وعرفت له مقاييس وأصول ، وابتدأت محاولات النقد المنهجي تظهر فهذا « محمد بن سلام الجحى » الذى عاش فى أواخر القرن الثانى وأوائل الثالث يؤلف كتابه (طبقات الشعراء) يتكلم فيه عن الشعر الموضوع ، ويبرهن على وجود الوضع بأدلة عقلية ونقلية ، ثم يخلص إلى فكرته الرئيسية فى الكتاب وهى الحديث عن الشعراء وتقسيمهم إلى طبقات ، صادرا فى تقسيمه هذا عن مبادئ عامة اتخذها أساسا للحكم عليهم هى : كثرة شعر الشاعر وتعدد أغراضه وجودته ، متساوولا فى ثنايا ذلك بعض الظواهر الأدبية وتعليلها من مثل : أثر البيئة فى لين اللسان أو غلظه ، وفى رقة الشعر أو خشونته ، ومن مثل : قلة الإنتاج الأدبى فى بعض البيئات وكثرته فى البعض الآخر

أما القرن الثالث فقد كان خصيا حافلا بالرجال والأفكار ، إذ انضمت فيه إلى الجداول العربية الأصيلة من التفكير جداول أخرى من المعارف الأجنبية ، كان لها أثرها فى تشعب النقد واختلاف مشارب النقاد . فن لتوين كالبرد ، إلى أدباء مثل عبد الله ابن المعتز ، إلى علماء أخذوا نصيبا يسيرا من المعارف الأجنبية يمثلهم الجاحظ وابن قتيبة ؛ إلى آخرين تأثروا كل التأثر بما نقل عن اليونان كقدامة ، ومن أمم الكتب التى تصور هذه الاتجاهات كتاب الكامل للبرد ، وكتاب البديع لابن المعتز ، والشعر والشعراء لابن قتيبة ، والبيان والتبيين للجاحظ ، وقد نشر لبقادمة

أما كتاب الكامل فيفيض بطاقة كبيرة من النصوص الأدبية الماثورة حتى كانت تعجب الذوق العربى الخالص فى ذلك الوقت . ونرى مؤلفه — وهو أديب اسوى نحوى — يبالغ هذه النصوص على طريقته العربية الخالصة فيشير إلى ما فيها من « اختصار مفهوم أو إطناب مفخم أو لغة دالة » ويأتى بالأمثلة الكثيرة على « ألفاظ العرب البينة القرية المفهمة الحسنة الوصف الجميلة الرصف » وعلى « ما يفضل لتخلصه من التكلف وسلامته من التزيد » ثم على « ما يستحسن لفظه ويستغرب معناه ويحمد اختصاره » وهكذا . ويمجى البرد بالتشبيه ، ولذا نراه فى الباب ٤٧ ج ٢ يطيل فى ذكر بعض ماصر للعرب والمحدثين بعدم منه ، ويطلق على

٢ - أبو هلال العسكري بين البلاغة والنقد

الاستاذ عبده عبد العزيز قنقيلة

نشأة النقد وتطوره إلى عهد أبي هلال

لا بد للأثر الأدبى فى نفوس الناس من صدى يتمثل فى استجابة عواطفهم له وتجاوب أفكارهم معه ؛ وقد يأخذ مظهر النفور منه والازورار عنه . ونتيجة هذا أو ذلك تلك الآراء والأحكام العامة بالحسن أو القبح ، والجودة أو الرداءة . وقد وجد عند العرب منذ الجاهلية نقد أدبى بهذا المعنى لم تكن له أسس أو أصول مقررة ، وإنما هو أحكام تقوم أكثر ما تقوم على التأثر والانفعال . حتى إذا كان القرن الأول الهجرى اتسع أفق النقد وجنح إلى شئ من الدقة وحاول أن يحدد بعض خصائص الصياغة والمعانى ؛ وما كاد هذا القرن ينتهى حتى ارتقى النقد ارتقاء محمودا ، وكثرت مواطنه فى البادية والحضر

ثم يكون القرن الثانى فترى طائفتين لها شأنها فى النقد هما : النغويون والنحاة . من أمثال أبي عمرو بن الملاء ، ويونس بن حبيب ، والأصمعى ، وأبى عبيدة ، والفضل الضبي . وقد سلك

وهب الله البلاد الرئيس والقائد اللذين أعدهما لحماية المظلومين من الظالمين . وإقامة الحكم الصحيح المنقذ البلاد

قال يوم لا كلام إن لم يكن مسبوقا بالعمل أو مقرونا به .
لا كلام إن لم يكن توجيها صالحا أو تشريما طيبا نافذا
إن الوقت أصبح غالبا جدا . وكم بذلناه وأفتيناه رخيصة .
بل من غير ثمن ا

وإذا حق لنشوة النصر أن تدفع القلم ليكتب . فإن أسجل
هذه العبارة الموجزة :

ليخص كل مصرى فى واجبه أمينا مخلصا ، فقد أتيح لكل
مصرى أن يؤدي واجبه من غير التواء ولا انحراف

هاسم بر

(٣) رسالة الأدب ويرى أنها خلقية

(٤) عدم إذاعة الآثار الأدبية قبل التأكد من جودتها

وسنرى بعد أن هذا العمل المزدوج الذي اضطلع به الجاحظ كان شيئاً طبيعياً اقتضته روح العصر وتلك الحركة المليية التي كانت في عنفوان نشاطها لكنها كذلك كانت في مراحلها الأولى إلى الآن والنقد الأدبي إما عربي صرف ؛ أو عربي فيه لمحات خافتة من ثقافة اليونان لكنه عربي القواعد والتطبيق على كل حال . لكن مع هذا النقد أو بعده بقليل (في الربع الأخير من القرن الثالث والثالث الأول من القرن الرابع ٢٧٥ - ٢٣٧) ألف قدامة بن جعفر كتابين : أحدهما في نقد الشعر والآخر في نقد النثر على اختلاف في نسبة الثاني إليه

ذكر في نقد الشعر أنه لم يجد أحداً وضع في نقد الشعر وتخليص جيده من رديته كتاباً منع أن الناس يخطون فيه وقلنا يصيبون . وكأنما ساءه هذا الإهمال وعز عليه أن يضل الناس في نقد الشعر . فوضع في ذلك كتابه ، وقد عالج الموضوع على طريقة ظاهرة التأثير بتفكير أرسطو . وأظهر أثر لكتاب الخطابة عند قدامة هو الكلام في الفضائل النفسية التي جعلها أرسطو أمهات الفضائل . فقد نقلها قدامة إلى الشعر وربط معانيها وأدعم بينها وبينها الصلات

أما نقد النثر فإنه يستدرك به على الجاحظ « الذي لم يوف وصف البيان ولا أتى على أقسامه في هذا اللسان » ولهذا راح قدامة يتكلم عن البيان والقياس واللبارة وما يتدرج تحتها من الاستمارة والأمثال وغيرها . بهذا انتهى من القرن الثالث حتى إذا كان القرن الرابع رأينا حركة النقد تبلغ ذروتها على أيدي الآمدي والجرجاني وأبي هلال حيث تتسع دائرة التاريخ الأدبي وتقسيم الشعراء إلى طبقات

ويزداد الاهتمام يبحث موضوع التعبير الشعري ومناقشة خصائص الأسلوب القرآني وتظهر الكتب القيمة في جميع هذه النواحي مثل : كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ودبوان الماني لأبي هلال في تحليل البواعث الشعرية وتبويبها ، وتجزيل الموازنة بين الشعراء وتحديد منزلتهم الأدبية في كتاب (الموازنة) للآمدي و (الوساطة) للجرجاني . كما يتمثل اقتراح البحوث

الأمثلة بطريقة الخاصة محاولاً في ثنايا ذلك أن يلم ببغض النواحي النظرية فيه .

أما كتاب عبد الله بن المعتز فهو الذي حدد خصائص مذهب البديع وفصلها عما عداها ورد هذه الخصائص إلى التراث العربي القديم . وقد كان لهذا أعظم الأثر في توجيه النقد وجهة تاريخية وحمل النقاد على اتخاذ التنايد في الشعر مقاييس لهم ؛ وكان هذا سبباً في أن عظمت العناية بمسألة السرقات الأدبية

وحين نصحب ابن قتيبة في كتابه (الشعر والشعراء) نرى أنه رفض الأحذ بتقسيات ابن سلام لأنه لم يؤمن بها ؛ بل بحث الموضوع من وجهة نظر عقلية بحتة ، ونجح في هذا حتى إذا كان دور التطبيق وعمل الذوق الفني أخفق . وقد تدبر الشعر فوجده أربعة أضرب حسب الحسن والجودة في لفظه ومعناه ، ومثل لكل ضرب ، وقسم الشعراء حسب ما فيهم من تكلف أو طبع ، وبين أن للشعر دواعي بحث البطيء وتبث التكلف ، وله أوقات يمد فيها قربه ويستصعب ريشه ولا يعرف لذلك علة إلا من عارض يعرض على الفرزة ، كما أن له أوقات يسرع فيها أيه ويسمح أيه . ثم يأخذ ابن قتيبة في الكلام على الشعراء وترجمة حياتهم

أما الجاحظ فقد يكون أهم شخصية من شخصيات القرن الثالث ، وذلك لأن عمله مزدوج ، وقد برز تبرزاً ظاهراً سواء في البلاغة أو في النقد . فني البيان والتبيين يتحدث عن المعاني ونصورها واختلافها في النفوس ، وأنها ما لم يعبر عنها موجودة في قوة المدومة ، وإنما تحيا بالتعبير عنها . وكيفية التعبير عن المعاني تجذبه إلى التحدث عن الألفاظ ، وإلى المقارنة بينها وبين المعاني ، وهذه البحوث من صميم البلاغة . لكنه مع ذلك يلاحظ ملاحظات ويبدى آراء على جانب عظيم من الأهمية في الإنتاج الأدبي ونقده - منها :

(١) البعد عن الهوى والمحاباة . أي يدعو إلى أن يكون

النقد موضوعياً معلاً قائماً على أسس تبعده عن التحيز والتعصب

(٢) الطبع والاستعداد . فهو يدعو من يأنس في نفسه

ميلاً إلى الأدب أن ينسى هذا الليل ويلتمس له النماذج الرفيعة غير

متهيب من إمساة ، ولا متخوف من نقد

عالماً بالبلاغة ولو أن نقده وبلاغته كانتا بحيث تلب عليها روح
الفلسفة والنطق

وهذا التداخل بين البلاغة والنقد أمر طبيعي بعد الذي
علمنا من تقارب عملها وبعد ما كان من توحد بعض المؤلفين
فيها . دعا إلى ذلك وساعد عليه تكتل العلوم وجملها مجاميع
لذلك العهد . فقد كانت هناك علوم الدين من فقه وأصول وتفسير
وحديث ووعظ . وعلوم اللسان من متن اللغة وتعريفها
واشتقاقها وروايتها وبلاغتها ونقدها . وعلوم التاريخ العام
والخاص . وعلوم أجنبية من فلسفة ومنطق ورياضيات . فكان
الرجل يشتغل بمجموعة من تلك المجاميع فيشتهر بها ويؤلف فيها ؛
بل قد ساعد النشاط العلمي والتنافس بين البيئات المختلفة على
إحاطة العالم بعلوم مجموعتين أو ثلاث

والآن لتتقدم إلى أبي هلال ولنصحبه في كتابه (الصناعتين)

لنرى حظ البلاغة منه وحظ النقد

(يتبع) هجره هجر العزيز قانين

البلاغية التي بدأها قدامة وابن المعتز ، والبحوث القائمة على
الذوق الأدبي في كتاب (الصناعتين) موضوع البحث

تراهل البلاغة والنقد أمر طبيعي : —

سبق القول بأن كلا من البلاغة والنقد يدور حول تحقيق
الصدق والقوة والجمال في التعبير الأدبي . وهذا العرض السريع
لنشأة كل منهما وتطوره يوقفنا على تشابه هذه النشأة بل على
وحدة الظروف التي خلقتها

وإذا فلم يكن من الغريب أن يلتقيا في تطورهما أكثر من
مرة على أيدي رجال موزعين بينهما أو قد أحاطوا بهما فتكلموا
فيها على اختلاف في الميل إلى أحدهما أو زيادة في الاهتمام به .
وأرى أن طبيعة الثقافة ، وحاجة العصر ، وتقدم الزمن أو تأخره
بالمؤلف ؛ كل ذلك شارك في توجيهه ودفنه إلى هذا البحث
الخاص من بحوث البلاغة أو من بحوث النقد أكثر مما كان عند
هذا المؤلف من دوافع الرغبة والإرادة

فالبرد : أديب لغوي ثم هو من ضمير العرب ولم تطم
ثقافته بهذا اللون من ألوان الثقافة الأجنبية . ولذا زاه يتكلم في
البلاغة والنقد بروح اللغويين ، فما جرى اللغة وسائر قواعدهما فهو
الجيد ، ولا يحتاج بعد هذا إلا إلى جزالة أو نغامة أو متانة حتى
يكون بلينا . والبلاغة عنده تراءى من بعيد في الاختصار المفهم
والإطناب المفخم واللحمة الدالة وفي التشبيه « الذي لوقال قائل
إنه أكثر كلام العرب لم يخطئ »

وابن المعتز : ذلك الشاعر المطبوع ذو الذوق الخصب والملك
الموسيقية كان أديبا أنيق الصياغة والتصوير ، وإلى جانب هذا
كان ذا قدم راسخة في رواية الأدب ونقده . ولقد ألف في ذلك
كتبا منها (طبقات الشعراء) و(السرقات) . وله في البلاغة
والنقد كتاب البديع

والجاحظ الفحل : بسط جناحيه على معظم مسائل البلاغة
والنقد ثم انتفض انتفاضة العبقرية والفن فكان كتابه الخالد
« البيان والتبيين » .

وقدامة يتقد فيرده التقاد إلى البلاغة ، ويتكلم في البلاغة
فيرده البلقاء إلى النقد ، وبوسمنا أن نقول . إنه كان ناقدا وكان

ظهرت الطبعة الرابعة الجديدة للمجلد الأول
من كتاب

وحي الرسالة

للأستاذ أحمد حسن الزيات

طبع طبعا أنيقا على ورق صقيل وقد
بلت عدد صفحاته خمسمائة صفحة ونيفا
وهو يطلب من إدارة الرسالة ومن جميع
الكتبات وتمنه أربعون قرشا عدا
أجرة البريد